بكينا يوم موتك.. كل ميت

أبا الحسن المثاقفَ كنتَ فينا
وقلَّبتَ المباديء فاسدات

إذا ظمئت مَواكبُنا مَعينا
وعرَّيتَ العواة المفسِّدينا

وإن عوت الذئابُ بغاب خبث
سرابٌ في مذاهبهم مهينٌ

رأيناَ فيك «يا ندوي» عَرينا
وما وجدوه إذ وافوا ثمينا

وعشتَ القرنَ مثل البدر تهدي
وحذرَّت المضلّل من خداع

إلى النور الحنيف مُضلَلينا
لكيلا يستغل ولا يهونا

قد اعترفوا بفضلك حيث قالوا:
وفي أسفارك الصيحاتُ تترىَ

بعلم أبي المعارف قد هُدينا
لمن عن خير نهج يسألونا

وفضل الله يؤتيه.. تقاةً
لك العشرات من كتب شذاها

هداةً في البرية مخلصينا
كأنفاس الهداة الأولينا

أهنديّ الجبلَّة غير مُغض
وقد أبدعت إذ ما فاض فكرٌ

عن الأعراب كانوا سابقينا
بأسطرها، فأحرى أن تصونا

تحبُّ العرب للإسلام فيهم
لأقصى الشرق نجمك قد تراءى

إذ اختار المهيمنُ ظافرينا
بأقصى الغرب نصَّاعاً جبينا

ومَن كان النبيُّ له إماماً
وأقصى الشرق قد أضحى مناراً

فقد ألفى له نهجاً مبينا
وينبوعاً لمن قد يرتوونا

كأنك «يا أبا الحسن» ابتسامٌ
«أبو الأعلى» وأنتَ، وركب علم

بوجه الأولين أتى رزينا
أضأتم أفقَ وجهتنا سنينا

رأينا فيك عنوان التآخي
ومَن أيامُهم كانت فخاراً

ورمزاً للدعاة مثابرينا
وعزماً في الوغى لن يستكينا

حملتَ رسالة الإسلام تغني
كفاكم شاعر الإسلام فخراً

بدنيا الناس قوماً مفلسينا
ومَن أرسى بباكستان دينا

فقد غرَّتهمُ اليوم الخطايا
إلى «إقبال» من قلب محبٍّ

ولجوا بالحضارة ضائعينا
تحيَّاتٌ معطَّرةٌ، يقينا:

شعر: شريف قاسم

بأنَّ الأرمغان أتىَ إلينا ... فضجَّت - والجنائز شاهداتٌ -
فكان لركب صحوتنا مُعينا ... بلادٌ أقسمت أن لا تلينا
سنطعمه خريف العصر مجداً ... فللإسلام أهلوها جنود
لكي يلقى الربيعُ المتَّقينا ... وما زالوا به مستمسكينا
وما جدوى الربيع إذا فقدنا ... وبالدين الحنيف رأوا مناهم
بظل الوارفات له قطينا ... وبالدين القويم علوا قرونا
جُزيتم يا بني «الندويِّ» خيراً ... وبالدين: الصلاحُ يكون بدءًا
وفزتم بالجنان مخلدينا ... لقوم بالهوان يَصفَّدونا
فيا ربَّ السماء أثب كراماً ... فقل للمدبرين عن المعالي
إليك اليوم قدَ أزجوا السفينا ... ومن ساروا بركب المرجفينا
وأنزلهم على جنَّات عدن ... لقد بلغ الأسى حلقوم قوم
ضيوفاً - في رَحابك - مكرَّمينا ... وأمسى الحال بالبلوى رهينا
●●●
بكينا قبل موتك مَن بكتهم ... وأذوت في مغانينا الأماني
شعوبُ المسلمين، وكم دُهينا ... ضحى وخبا نداء المصلحينا
بكينا الراحلين وأنت منهم ... وراح الموت بالأفذاذ منها
نجوم المجد.. إنا مكتوونا ... وخلَّف بعدهم هذا الأنينا
جماجم أمة وارت خطاهم ... بكينا يوم موتك كلَّ ميت
رياح الموت واستبقت شجونا ... من الأبرار لم يك مستكينا
بكينا والمصائبُ راعفاتٌ ... على نبأ الوفاة لقد ذهلنا
فمن ذا يرقأ الدمع الهتونا ... وأصغينا لفقدك واجمينا
فلم تَرَ بيننا إلا كئيباً ... قنعتَ من الحياة بسرج مجد
يزجِّي خطو حسرته حزينا ... على وثباته كنَت الأمينا
تدافع كربنا في كلِّ صدر ... ومثلك للعلى هبُّوا كراما
وهيجَّ من مشاعرنا الحنينا ... وعن زيغ الهوى يترفعونا
تكادُ تكلُّ من ثقل الرزايا ... وإنَّ الموت للأتقى حياةٌ
مناكبنا لطول الرزء فينا ... أعزُّ على قلوب الصالحينا
أفاضلُ في الشآم وأرض مصر ... وهجرٌ للملذات اشتهيتها
وفي أرض الجزيرة صادقونا ... - على طمع - نفوس المعوزينا
مضوا فالأرض تبكيهم فراقاً ... وفصلٌ بين أيام تُولِّي
ويبكي المؤمنون المؤمنينا ... وتعلم من بنيها الحائرينا

وأحـــقـــاب.. بـظل الله تبـــقى
وأهـلـوهَا الـكـرامُ مـــــخـلـدونـا
فـــقـــد نالوا رضـــاه وذاك فـــوز
وقـد قـرّوا برحـمـتـه عـيـونـا
فـــقل للـشـــاردين أولي المخـــازي
بهـــا يـرغـــون - بئسَ - ويزبـدونا
مـــآل الـناس يوم الحـشـــرِ حق
أكـــانـوا زُيَّفـــاً أم مـحـــسنينا
●●●
ألا فَلْـتـــبكِ رابـطةٌ رئـيـســـاً
بهـمـتـه يـقـودُ النَّابغـيـنا
أقـام لنـهـجـهـا أدباً مُـصـفًّى
لوجـدان الشـعـوب غـدا كنينا
ويحـــمل فكرها هديا وعلـمـــاً
لكلِّ الخلق منهـاجـاً رصـيـنا
وفي أدب العـقـيـدة سـفـر هدي
ودعـــوة شـــرعـــة للـعـالمينا
وظلَّ يسنُّ لـلأدب اصطفـــاء
ويسـقـي منه حـقل المستنـيـنا
تألـق في مـحـــافله ارتـقـــاء
وأزهر في مـبـاهـجـه فـتـونا
كـــأنَّ «بتكـيـة» المـيـعـاد ألـفى
بمولده جـــواب الســـائلينا
فـفي تسـعين عـامـاً إذ خطاها
أجاد السعي لم يغـمض جفـونا
ومـدَّ شـمـالـه بالبـرِّ جـوداً
وقـدَّم في فـرائده اليـمـيـنا
ولم يجـفل إذ اشـتـعلت خطوب
بأرض الَهند ترمي المسلمـيـنا
تلـفت في الـبـريَّـة غـيـرَ وان
فـهـبَّ لخـيـرها كـالمعـرِّقـينا
وأســـرتـه عـلـى نهـج وضـيء
وأهلـوه الهـداة المنجـبـونا
وصـبـر المؤمنين لهم عـزاء
وقـد باتوا بـفـقـدك حـائرينا
وفـيـمـا قـد تركت - أخا المعـالي -
أتوا بتـراث مـجدك مـحـتـفـينا
وتنـفضُ احـتـَـفـَالاتٌ بـريب
ويُرمى وجـهُ منشـئـهـا ظُنونا
ويبـقـى نهـجُك الروحـيُّ يسـمـو
بـديـن الله بـنـيـانا مكينا
ويبـقى للـمـودة والتـآخي
يطرز جـمـعـهم حـبـا ولينا
رنت آمـاقنا مـتـلهـفـات
لمن ســاروا بليل مـدلجـيـنا
بكيناهم وقـد غـابوا فـألفى
بدنـيـانا الأسى ليـلاً ضنينا
فـهم كـانوا لأمـتـنا دواءً
لمن في جندها أمـسى طعـيـنا
جـــزاك الله يـا نـدويُّ عـنَّـا
كـمـا جـازى الهـداة المؤثرينا
رحلتَ وجـرحنا فـي القـدس دام
وفي الشـيـشـان يؤلمنا سـخـينا
وفي كـشـمـير تـنكؤُه العـوادي
مـخـالب تقطع اليـوم الوتينا
فـجـائع قـد تركت وكنت تحـيـا
بوجـه رياحـهـا جـبـلاً مـتـينا
سـألنا اللهَ بعـدك فـجـر فـتح
يعـزُّ اللّهُ فـيـه مـجـاهدينا